أثر الغربة في شعر تاج السر الحسن «دراسة تحليلية نقدية»

الدكتور/ المعتز سعيد فرج الله عبد الله[1]

الملخص

تناولت هذه الدراسة شعر الغربة عند الشاعر السوداني تاج السر الحسن، وتهدف إلى الكشف عن العلاقة بين بيئات تاج السر الحسن وشعره في الغربة. وإيضاح بواعث شعره في الغربة. وتوضيح أكثر ألوان الغربة أثراً في شعره. وقد اتبع الباحث لتحقيق هذه الأهداف المنهج الوصفي التحليلي، وخلص الباحث إلى جملة من النتائج، أهمها: ارتباط شعر الغربة عند تاج السر الحسن ببيئاته المختلفة التي تنقل فيها داخل السودان وخارجه. وأن المعارك الأدبية والسياسية بينه وبين أبناء جيله من أهم بواعث شعر الغربة عنده. وأن أكثر ألوان الاغتراب أثراً في شعره هو الاغتراب المكاني.

Abstract

This study dealt with the poetry of expatriation in Tag al Sieral Al Hassan, Sudanese poet. The study aims to reveal the relationship between the poet>s surrounding environment and his poetry in the alienation and to clarify the most prominent style of expatriation in his poetry. The researcher adopted the descriptive analytical method. The study concluded to many results the most important ones were: Tag al Sieral Al Hassan, poetry was connected to different environments where he travelled to in and outside of Sudan. The literary and political challenges between him and his fellow generation mates were the most important motives of his poetry, besides the spatial exile.

(١) أستاذ مشارك – كلية اللغات – جامعة بحري – السودان.

مقدمـــــة

الأدب السوداني مليء بالشخصيات الفذَّة، وكان لكثير من أدباء السودان بصمات واضحة وملموسة في المجال الأدبي والشعري عموماً. فكان لا بُد من الوقوف عند تجاربهم، وما أضافوه للشعر العربي الحديث. ويُعد الشعر واحداً من الفنون المهمة التي تحفظ لنا تاريخنا السياسي والاجتماعي والحضاري. وهناك دراسات عديدة حول تاريخ ونقد الشعر السوداني المعاصر ساعدت على نموّه وتطوره؛ مما أكسبه الشهرة التي جعلت له مكانة بين الشعر العربي المعاصر.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة في أنها تقدّم دراسة أدبية نقدية لشعر الغربة عند تاج السر الحسن لمعرفة مدى جودة شعره ومتانته، ودارسة تجربته الشعرية خصوصاً شعر الغربة والحنين.

أهداف الدراسة:

١- التعريف بالشاعر تاج السر الحسن.

٢- تعريف الغربة لغة واصطلاحاً.

٣- إبراز أثر الغربة في شعر تاج السر الحسن.

٤- الكشف عن العلاقة بين بيئات تاج السر الحسن وشعره في الغربة.

٥- إيضاح بواعث شعر الغربة عند تاج السر الحسن.

٦- توضيح أكثر ألوان الغربة أثراً في شعره.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي.

أولاً: التعريف بالشاعر:

ولد الشاعر تاج السر الحسن في جزيرة (أرتولي) شمال بربر عام ١٩٣٠م وينتمي لأسرة دينية. في تلك الجزيرة كان مهد الشاعر التي يجري فيها النيل وأحاط بها النخيل، وأطربها صوت السواقي والطيور. في هذه الواحة الجميلة الغنية بضروب الشعر، أُشرب الشاعر بعض معانيها. كانت بداية تعليم شاعرنا دخوله الخلوة على يد عمه الشيخ الأمين الحسين. ثمّ انتقل إلى مرحلة الكُتّاب والابتدائية بمدرسة النهود الشرقية في العام ١٩٤٥م، التحق بالأزهر الشريف عام ١٩٥٦م، وكان شغوفاً بالاطلاع على الكتب والمجلات ولوعاً بالقراءة في دار الكتب المصرية. سافر إلى الاتحاد السوفيتي والتحق بجامعة موسكو لدراسة اللغّة الروسية. ثمّ التحق بمعهد الكاتب الروسي (ماكسيم جوركي) الذي حصل فيه على شهادته التي تعادل الماجستير عام ١٩٦٢م. عمل أستاذاً للغّة العربية بمعهد العلاقات الدولية العربية بموسكو، وحصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٧٠م. وبجانب دراسته للغّة الروسية درس أيضاً الإنجليزية والفرنسية والإسبانية. وكان متأثراً بالفلاسفة أمثال أرسطو وسقراط وأفلاطون وقد كتب عنهم مقالات. عمل أستاذاً بكلية التربية – جامعة عدن باليمن الجنوبي (١٩٧٤-١٩٧٦م). وعمل أيضاً باللجنة الوطنية لليونسكو (١٩٧٦- ١٩٨٥) ثمّ عاد إلى السودان وعمل بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي حتى بلوغه سن المعاش. توفي في العام ٢٠١٣م[(١)].

ثانياً: آثاره الأدبية:

(١) الدواوين الشعرية:

أ. قصائد من السودان، (بالاشتراك مع جيلي عبد الرحمن) (١٩٩١م).

ب. القلب الأخضر، (١٩٩١م).

(١) موسوعة القبائل والأنساب في السودان، عون الشريف قاسم، شركة أفروقراف للطباعة والنشر، الخرطوم السودان، ط ١، ١٩٩٦م ج ١، ص ١٠٢.

ج. قصيدتان لفلسطين، (١٩٩١م).

د. النخلة تسأل: أين الناس، (١٩٩٢م).

هـ. الأتون والنبع، (م١٩٩٢).

(٢) الكتب الأدبية:

أ. الابتداعية في الشعر العربي الحديث (م١٩٩٢).

ب. بين الأدب والسياسة(١٩٨٩م).

ج. قضايا جمالية وإنسانية(١٩٩١م).

د. أثر السياسة الغربية على السياسة الشرقية،(بالاشتراك مع جيلي عبد الرحمن) (١٩٩٢م).

ثالثاً: تعريف الغربة لغة واصطلاحاً:

جاء في تعريف الغربة لغّةً : (الذّهاب والتّنحي عن النّاس. والغَرْب النّوى والبُعد وقد تغرّب).

وفي الاصطلاح[١] (أنّ الغربة مفارقة الوطن في طلب المقصود). وقيل في الحنين إلى الأوطان[٢] (حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد). وقيل (من إمارات العاقل برّه بإخوانه وحنينه إلى أوطانه، ومدارته لأهل زمانه).

وقال إعرابي:(لا تشكُ بلداً فيه قبائلك، ولاتجفُ أرضاً فيها قوابلك).

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٤].

رابعاً: أثر الغربة في شعر تاج السر الحسن:

فنجد أول إحساس بالغربة عند الشاعر تاج السر الحسن كان في مرحلة التفكير الصوفي، حين كان يشعر بالغربة عن الكون جميعه. فهو اغتراب داخل

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت،ط ٣، ١٩٨٩م، ص ٦٣٧. (مادة: غرب).

(٢) التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ، ص ٥٣٥.

النفس أو اغتراب داخل المجتمع. حيث يقول[١]:

أيُّ طينٍ جبلت منذ ذرّأتُــه وتغشَّيتَ في ردى ظُلماته
كُلَّما شِمتَ في الحياة جمالاً دنّست حماة الثّرى آياته

والأدب السوداني عرف الاغتراب بصدق، فعندما سافر شاعرنا إلى مصر للدراسة وأتى العيد وهو بعيد عن أهله ووطنه بسبب غربته، رسم لنا صورة حزنيةً صادقة جميلة في بساطتها. فهو يتذكر وطنه المهجور وإخوانه وأمه، ويتساءل هل فرحوا بمقدم العيد أم تذكروني فبكى قلبهم لغربتي. فهو دائم الحنين إليهم، ويظهر ذلك في استحضار الحياة السودانية في نفسه فتراه في قصيدته (عيد الغريب) يقول[٢]:

يا عيدُ لما جئتُ تلك البلاد قبّلتها حتى الرّبى والوهاد
هلْ فرحت أُمّي بذاك المجيء أم نغصتها ذكريات البعاد
وإخوتي يا عيدُ هلْ عانقوا فرحة أضوائك عند الصّباح
أم ذكروني فبكي قلبهم لغربتي واستسلموا للنواح
يا عيدُ لو كنت مثلما انت أو كنت ربيعاً ملء كوني زهور
لما بكت أمي ومن حولها يهلّل العيد ويحيا المرح
وإخوتي ما ظلّ في وجههم هذا الأسى ما مات ومضى الفرح

فالإنسان بطبعه ميّال إلى ما يألفه، فإذا غاب عنه افتقده وشعر بدافع قوي يدفعه إليه. ومما يساعد على إثارة الحنين في نفوس الشعراء أحوال لازمتهم في ديار الغربة. وأكثر ما يحرك العواطف تلك الصور التي تظل عالقة في الذهن من الأشجار والهضاب والسواقي وغيرها مما يفتقد في بلد الغربة. ولذلك ينبغي الإحساس بالشعر أولاً عن طريق الوجدان، وليس عن طريق العقل. وهذا لا ينفي دور العقل لكنه يؤكد أساس الموهبة وصدق الإحساس ومعاناة التجربة الشعرية معاناة حقيقية[٣].

(١) ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، شرحه أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٢٤م، ص ٥٣٤.
(٢) قصائد من السودان، تاج السر الحسن وجيلي عبد الرحمن، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩١م ، ص ١١.
(٣) قصائد من السودان، ص ٧١.

انظر إلى قول الشاعر وهو يردد في خاطره صوراً من ذكريات ماضيه في بلده. فمن ذلك[1]:

ياأخوتي خلف امتداد الهضاب وخلف حيدوب وركب السّحاب

وشجرُ اللالوب قد خيمت ظلالها فوق ظهور البيوت

ونيمتي ما زال أيناعها يملأ قلبي بغد لا يموت

محمداً ما زلت في كل حين أذكر ما اوصيتنيً من سنين

سيارة تقطع في سيرها غرفتنا في سرعة كالجنون

وقصة عن فارس تأثر يبحث عن كنز يعيد الحياة

وعن فتًى عاش كود النمير لا يرهب الظلم وجبروت الطغاة ولكنه لا يستسلم لأساه ولاينسيه حزنه الشخصي أنّ في الأرض كثير من أمثاله من المهاجرين. فهو يبشر نفسه ولهم جميعاً بالمستقبل السعيد الذي لا يضطر فيه امرؤ إلى ترك وطنه والتغرب عن أهله إذ يقول[2]:

محمداً إنّي سآتي غداً والعيد يأتي في خُطى عودتي

والفجرُ يأتي والصّباح الجديد وتضحك الأُم لدى ضحكتي

وندفن الغربة لا لن نكون في الأرض هذه الغربة الشاحبة

نشعلها في النار نلقى بها تذرها العاصفة الصاخبة

فالشاعر وهو يفتخر بقوة وجبروت شعبه وهو عنه بعيد، مما يؤكد حبه الشديد للوطن والوفاء للمهاجرين من أجله، فالاغتراب يجعل الإنسان محباً لوطنه أكثر لأنه محروم من الحرية حيث يقول[3]:

يارفاقي صانعي المجد لشعبي

ياشُموعاً ضوؤها الأخضرُ قلبي

(١) أصول الشعر السوداني، عبد الهادي الصديق، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط ١، ١٩٨٩م ، ص ١١٨.
(٢) قصائد من السودان، ص ٧١.
(٣) قصائد من السودان، ص٧٢.

وأشعار الغربة في شعر تاج السر الحسن كثيرة تفيض بصور الحياة في السودان. يقول في قصيدته (من ظلال الأمس)[١]:

أختاه ما زالت بقايا الضحى في قريتي بين ظلال الغصون
ترعش في قلبي أيامنا خلف ظلام الأمس خلف السنين
والفصد في خديك لما يزل يومض في عيني وقلبي الحزين
والنيمة الخضراء في بيتنا وزهونا وإخوتي والحسين

وبعد أن يذكر صوراً من قريته وذكرياته فيها، يأتي بصورة مقابلة لحالة الغربة الاجتماعية حيث يقول[٢]:

أختاه أني سوف أحكي هنا قصة ماضينا كحلم جميل
أتذكرين الأمس أم أنه مات كظل في احتضار الأصيل
فلم تعودي تذكري عهدنا بين ربا الوادي الخصيب الظليل
أتذكرين الأمس أختاه أم أنا الذي عانيت وحدي الأقوال

فقد حُرم الشاعر من الوطن وأصبح محاصراً بقسوة حياة الغربة، فجسد ذلك في قوله[٣]:

الأمس في قلبي أسطورة خالدة من ذكرياتي الحسان
ما زلت فيها استظل الرؤى وارتوى فرحتها والأمان
ولم تزل أصداؤها في دمي في مسمعي ترن في كل آن

ولكن هذه الغربة لا بدّ أن تتلاشى ويرجع الشاعر إلى وطنه وأهله فيقول[٤]:

قد أشرق الفجر على بيتنا وأشرقت شمس الخريف الرطيب
والآن ذلك اللهو خلف السنين أسطورة ماتت بظل الجدار
والذكريات الخضر يورقنا في قلبي حنيناً مشعل الاخضرار

(١) ديوان القلب الأخضر، ص ١٠٩.
(٢) نفسه، ص ٥٦.
(٣) ديوان القلب الأخضر، ص ٥٦.
(٤) نفسه، ص ٥٧.

فالغربة في شعر الشاعر عامل مهم وتأثيره ظاهر وهي تؤكد مدى ارتباطه بوطنه وما يدور فيه.

فقد كان للمعارك الأدبية الصادقة والنبيلة والوطنية التي خاضها تاج السر الحسن في حياته، وما أحاط بها من متاعب الغربة القاسية، أثر في اتجاه أشعاره التي ظهرت في عالم قلق حائر يبحث فيه عن متنفس لذاته في مجتمع مضغوط حيث ظهر ذلك في قوله :

ها أنت مثلي في رحاب الحياة
تمشي ولا تدري إلا ما تسير
وأنت مثلي ثورة خامدة
تئنُ حيرى في رماد السنين
وأنت مثلي إشعاعةٌ عاصفة
تخبو وتبدو في فمي والعيون
فانت مني ونحن ترنيمة
ونحن صوتٌ يتحدى القرون
لِنُسمعَ الخلود أنشودة
رائعةالتصوير حرّى الرّنين

وهذه الغربة تتلاشى شيئاً فشيئاً، وتتحول عنده إلى تأكيد مستمر لمعالم القومية السودانية، على مجهود مباشر للقضاء على الغربة عند شعبه إن صح التعبير وتعريفه للناس، وتمجيده. فيقول[1] :

وسوف نحدو ونغني الشعوب
وسوف ينداح الدُّجى والظنون
ونبعث المستضعفين الأُلى
ماتوا هنا في ظلام القرون
وأبناك والأم غداً يبسمون

(١) نفسه، ص ٥٩.

فالقومية السودانية تبدو ظاهرة في قصائد تاج السر الحسن، لاسيما التي نظمها وهو في القاهرة بعيداً عن مجتمعة ومراتع صباه، حيث ضاق بالغربة واشتاق إلى بلده شوقاً شديداً، وإلى بعض مظاهر الحياة والظواهر الطبيعية حنيناً دافقاً، ويظهر ذلك في روعة وصفه لها. ففي قصيدة (الكوخ) يتذكر الشاعر أمه ووالده عندما يجئ الليل، والأمسيات السعيدة التي قضوها معاً في حديث وسمر. فهو يتذكر جدته تروي لهم الأساطير الشعبية، وهي على إيجازها صورة دقيقة صادقة للجدة أو "الحبوبة السودانية" في رقدتها العتيقة على العنقريب. إذ يقول[1]:

وهنا جدتي تسوق الأساطير
وتروي الخرافة السحرية
وهي تلقي على السرير بقايا
جسد منهك ونفس هنية
وعلى وجهها الصغير خطوط
رسمتها يد الزمان القوية
وعصاها العتيقة الملوية
وارتجاف الأنامل المحنية

فالحنين إلى الوطن عند الشاعر تاج السر الحسن جزء مهم من نفسيته، وقد كان له أثره الكبير في شعره. فالاغتراب عن الوطن لم يضعف تعلقه به، بل زاده شوقاً. وحين جلس في غربته يتذكر حياته الماضية، تواردت على مخيلته صور تلك الحياة ومناظرها التي لم تضعف ولم تبهت على البعد، بل لعلها ازدادت وضوحاً وتحديداً صار أقدر على فهمها وتقديرها. وهكذا لم تقلل الغربة من الطابع السوداني بل زادته بالمقارنة جلاءً وتمييزاً. ولما كانت القصيدة بنية موسيقية متكاملة كان من الطبيعي أن يلتفت الشاعر في تشكيله لهذه البنية إلى العناصر التي تحقق الانسجام بين مفرداتها. فعملية التشكيل التي يقوم بها الشاعر في القصيدة عملية معقدة غاية

(١) قصائد من السودان، ص ٦٧.

التعقيد، لأنها تأخذ في الاعتبار الأول أن تكون القصيدة – مهما طالت –هي الوحدة الفنية التي تعمل في داخلها أشتات من المفردات والدقائق. فإذا كان هم الشاعر التقليدي أن يجوِّد بناء البيت الشعري، فقد صار هم الشاعر الحديث أن يتقن بناء القصيدة من حيث هي كُلٌّ. والبناء الموسيقي للقصيدة هو الصورة الحسية لها، وهو ما يسمعه المرء لو أنصت لقصيدة بلغةٍ أجنبية لا يفهمها. وهو أوَّل ما يصادف السامع أو القارئ منها[١].

فبحر الرجز كان حاضراً عند شاعرنا، وهو على سته أجزاء[٢]:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن ×× مستفعلن مستفعلن مستفعلن

فمن قول الشاعر من قصيدة (عيد الغريب)[٣]:

لمّا بكت أمّي ومن حوالها يهلّل العيد ويحيا المرح

وركَّب شاعرنا بحر السريع وهو "مستمد من الرجز وكلماته تتسم بالتأني والتريث وحركته بطيئة متمهلاً في جرسه الموسيقي. وتفعيلاته[٤]:

مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ ×× مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ

وهذا ما لم يستعمله أحد من الشعراء. والوزن العمدة من السريع:

مستفعلن مستفعلن فاعلن ×× مستفعلن مستفعلن فاعلن

"مفعولاتُ دخلها "الكشف" وهو: حذف متحرك وتده المفروق. كان أصلة "مفعولات" فحذفت منه الواو فبقي "مَفْعلاْتُ" وأُسقطت التاء (مَفْعلاْ) فنقل إلى "فاعلن"[٥] فمنه قول شاعرنا[٦]:

ونيمتي ما زال إيناعها يملأ قلبي بغد لا يموت.

(١) قصائد من السودان، ص ٦٧.
(٢) قصائد من السودان، ص ٨٩.
(٣) الاتجاهات الشعرية في السودان، محمد النويهي، معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، ص ١٢٧.
(٤) التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، دار المعارف، مصر، ١٩٣٦، ص ٣٦.
(٥) كتاب العروض ومختصر القوافي، ابن جني، تحقيق فوزي عيسى، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٠٣.
(٦) قصائد من السودان، ص ٧١.

وبحر الخفيف كان حاضراً أيضاً عند الشاعر تاج السر الحسن وهو بحر (فخيم واضح التفعيلات) وتفعيلاته[١]:

فاعلاتن مستفلعن فاعلاتن ×× فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

فمن قول الشاعر في ذلك من قصيدته (الكوخ)[٢]:

هو كوخي الصغير مستودع الما ضي ولحني الذي أحنّ إليه

والرمل نغمته خفيفة جداً، وتفعيلاته مرنة للغاية وفي رنته نشوة وطرب. وتفعيلاته[٣]:

فاعلاتن|فاعلاتن|فاعلاتن|××|فاعلاتن|فاعلاتن|فاعلاتن

جاء به الشاعر تاج السر الحسن في شعره عن الغربة، ولكن على نظام السطر الشعري. حيث يقول[٤]:

يا رفاقي صانعي المجد لشعبي

يقول ابن طباطبا في ذلك: "فاذا اجتمع للفهم مع صحة وزن الشعر صحة المعنى وعذوبة اللفظ، فصفا مسموعه ومعقوله من الكدر ثمّ قبوله واشتماله عليه"[٥].

وفصّل عبد الله الطيب صلة العروض والوزن بالمعاني في كتابه (المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها) حيث ربط تأثير العرض في المعنى بالأثر السمعي ؛ لأن الأذن تملّ التكرار ، فتأثير الصوت مهم في بقاء التاثير في نفس السامع ، فموسيقى الشعر جامعة للانسجام من أقطاره ، ففيها أول من كل شئ انسجام بين الوزن المحض و الكلام المسرود فيه.

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج ١، ص ١٩٢.
(٢) قصائد من السودان، ص ٤٥.
(٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج ١، ص ١١٦.
(٤) ديوان القلب الأخضر، ص ١٠٩.
(٥) عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر، ص ٣١.

ومهما يكن من شيء فإن تجربة شعر الغربة عند تاج السر الحسن والتي أكثر فيها من استحضار الحياة السودانية في نفسه، وهو دائم الحنين إليها، فهي تجربة صادقة للمفهوم العام للاغتراب.

خامسًا : العلاقة بين البيئة والغربة في شعره:

١ ـ **بيئة كردفان:** يبدو تأثر الشاعر ببيئة كردفان واضحاً جلياً، وخاصة مدينة (النهود) والتي أوردها في شعره بأشكال مختلفة مما يدل على أثرها في نفسه. ففي قصيدته (وادي النهود) يقول[(١)]:

كردفانْ يارُبوعْ .. يا أزهراً تضُوعْ
قد خضّر الخريفُ في وديانك الجذُوعُ
لاتحسُبونا نقبر الأشواق والحنانْ
لاتحسبونا نجهل الأيام والإخوانْ
فقد رسمنا في قلوبنا سهول كردفانْ
حشائشُ (السُوريب) عندما تسور المياهْ
وشجرُ (اللالوب) حينما يفيض بالحياة
والسمبر الأنيق حين زغرد الخريف
لن تسمعوا سوى صدى الأمطار والحفيف
فما رسمت صورةً لوجه كردفانْ
لكنْ رسمتُ قلبيَ المغترب الولهان

٢. **أثر بيئة جزيرة أرتولي في شعره:** لقد صور الشاعر حياته في جزيرة أرتولي بأنها أنشودة حلوة الوقع على الأذن ، محببة يحسها كل إنسان محب للحرية والكرامة وتحرير الإنسان ، وتأخذ كلماته طريقها إلى القلوب مع كل ما يميزها من وضوح ؛ وذلك لأنّ الشاعر يصوّر لنا الذين يقومون على حماية الجزيرة من الخطر الذي يستهدفها ، كما يصوّر لنا مرح الأطفال حين يخرجون

(١) ديوان القلب الأخضر، تاج السر الحسن، دار الجيل بيروت، ط ١، ١٩٩١م ، ص ٧٦.

إلى ضفاف النيل لممارسة بعض العادات كصيد السمك والسباحة وغيرها . إذ يقول[1] :

إنّ الرجال شيدوا في أرضك السّلام
والنيل ثار
لكنهم أقاموا في ضفافك الأسوار
كانوا كبحرٍ أسمرٍ يصادم التّيار
ما استسلموا ، ما فلّ من ساعدهم دمار
كنت وأطفال الجزيرة الصّغار
نسبح لا نهاب موجة الهدّار
ولا نخاف دوّاماته الكبار

٣. **أثر البيئة العربية في شعره (اليمن)**: تبرز لنا مسيرة الشاعر تاج السّر الحسن ومدى تعاطفه مع الشعوب العربية وهو يقف مع شعب اليمن ومن هنا تظهر إنسانيته التي انتقدت الظلم والتفرقة الاجتماعية الطبقيّة وقد تأثر بتلك البيئة التي استشرت فيها الطبقية والعنصرية فصوّر هذه العاطفة الجيّاشة في قوله[2] :

وعاد ذو النون
على وجوهكم يا رفقتي عيناه تلمعان
وفي شفاهكم نبرة صوته الجسور
سعيدة قوية بلادنا اليمن
ففي ربوعها قد عاد ذو يزن
وفي أيديكم حسامه يقطر منه النور
وفوق حدّه دم الطغاة والكهان
قد عاد فليتّحد الجنوب والشمال
ولتنحسر مأساة تلكم الليال
بلادنا صنعاء أو عدن

(١) ديوان النخلة تسأل أين الناس ، تاج السّر الحسن ، دار الجيل ، بيروت ط١ ، ١٩٩٢م ، ص ٦ .
(٢) ديوان القلب الأخضر ، ص ٦ .

وبهذا يمكن القول إن اغتراب المكان يتمثل في فقد الأهل والأحباب وفقدان مذاق الحياة واشتهائها ، ما دام الحبّ معادلًا لاستمرار الحياة وخصبها ، أو بمعنى آخر الاغتراب معادل موضوعي للعقم والجدب الذي افتقده الشاعر في بيئته .

خاتمـــة

جاءت هذه الدراسة (أثر الغربة في شعر تاج السر الحسن) وأوضحت أن الاغتراب يزيد من حنين الإنسان إلى وطنه وتعلقه به، فكلّما اشتدت وطأة الاغتراب ونالت من النفوس، فزع الشعراء إلى الشعر يبثونه توقهم وحنينهم المشبوب إلى أوطانهم وأهلهم وأحبابهم. وتوصلت الدراسة إلى الآتي:

١. كشفت الدراسة عن ارتباط شعر الغربة عند تاج السر الحسن ببيئاته المختلفة التي تنقل فيها داخل السودان وخارجه.
٢. بيّنت الدراسة أن من صور شعر الغربة عند تاج السر الحسن: الحنين إلى الماضي، والحنين إلى الوطن، واستيحاء بعض معالم الطبيعة السودانية كالهضاب والجبال والأشجار والأنهار والطيور والسواقي.
٣. أظهرت الدراسة تأثر شعره في الغربة ببيئته الصوفية.
٤. أوضحت الدراسة أن من بواعث شعر الغربة عند تاج السر الحسن، المعارك الأدبية والسياسية بينه وبين أبناء جيله.
٥. أظهرت الدراسة أن أكثر ألوان الاغتراب أثراً في شعره هو الاغتراب المكاني.

المصادر والمراجع

١. القران الكريم.

٢. إسماعيل، عزالدين (١٩٣٦) التفسير النفسي للأدب – دار المعارف مصر.

٣. ابن جنى، أبوالفتح عثمان (٢٠٠٩) كتاب العروض ومختصر القوافي – تحقيق: فوزي عيسى – دار المعرفة الجامعية – القاهرة.

٤. الحسن، تاج السر (١٩٩١) ديوان القلب الأخضر دار الجيل – بيروت – لبنان ط١.

٥. الحسن، تاج السر (١٩٩٢م) ديوان النخلة تسأل أين النّاس ، دار الجيل – بيروت – لبنان ط١.

٦. الدماميني،بدر الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (١٩٩٤م) العيون الغامزة على خبايا الرامزة – تحقيق: الحساني حسن عبدالله – الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة ط٢.

٧. الصديق عبدالهادي (١٩٨٩م) أصول الشعر السوداني دار جامعة الخرطوم للنشر – ط١.

٨. ابن طباطبا، محمد بن أحمد العلوي (د.ت) عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام – الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية – مصر.

٩. الطيب، عبدالله (١٩٧٠م) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – دار الفكر – بيروت – لبنان ط (٢).

١٠. عبدالرحمن، تاج السر الحسن وجيلي(١٩٩١م) قصائد من السودان – دار الجيل بيروت – لبنان ط١.

١١. العسكري، أبو هلال (١٩٢٤م) ديوان المعاني – شرحه: أحمد حسن بسبح – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط١.

١٢. قاسم، عون الشريف (١٩٩٦م) موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الاعلام والأماكن، شركة أفرو قراف للطباعة والتغليف – الخرطوم – السودان ط١.
١٣. المليك، صلاح الدين (١٩٧٥م) شعراء الوطنية في السودان – دار جامعة الخرطوم للنشر والتأليف والترجمة. ط١.
١٤. المناوي، محمد عبدالرؤوف (١٤١٠هـ) التعاريف – دار الفكر – بيروت ط١.
١٥. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٨٩م) لسان العرب دار صادر – بيروت – لبنان ط٣.
١٦. النويهي، محمد (١٩٥٧م) الاتجاهات الشعرية في السودان، معهد الدراسات العربية العالمية – جامعة الدول العربية.